

التربية الإسلامية - الأخلاق المذمومة - الدرس (١٠-١٠) : الابتداع
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٧-٠٣-١١

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين ، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا ، إنك أنت العليم الحكيم ، اللهم علمنا ما ينفعنا ، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً ، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه ، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين ، أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم ، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات .

أيها الإخوة الكرام ، مع درس جديد من دروس الأخلاق المذمومة ، انطلاقاً من أن الحقيقة المرة أفضل ألف مرة من الوهم المريح ، وانطلاقاً من قول سيدنا حذيفة بن اليمان رضي الله عنه إذ قال :

((كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْخَيْرِ ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ
مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي))

[البخاري]

من الأخلاق المذمومة : الابتداع :

الخلق المذموم اليوم هو الابتداع ، أن تأتي في الدين بشيء ليس له أصل ، وهذا أخطر شيء يهدد الدين .

١ - الأصل القرآني المحرم للابتداع :

الأصل في الابتداع الآية الكريمة :
﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا
بِعِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ
وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً
وَرَحْمَةً ﴾

الآن :



﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا
الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾

[سورة الحديد : ٢٧]

٢ - الدين كامل لا يحتمل الزيادة ولا النقص :



أيها الإخوة ، حينما قال الله عز وجل :
﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ
عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ
دِينًا ﴾

[سورة المائدة : ٣]

الإتمام عددي ، والإكمال نوعي ، أي أن القضايا التي عالجها الدين تامة عدداً ، كاملة نوعاً ، فأية إضافة على الدين تعني ضمناً اتهامه بالنقص ، وأي حذف من الدين يعني ضمناً اتهامه بالزيادة ، فالدين توقيفي من عند الله ، من عند المطلق في كماله ، المطلق في علمه ، لا يجوز أن نحذف منه ، ولا أن نزيد عليه .

٣ - هذه نتائج الزيادة والحذف في الدين :

لما حذفنا من الدين ما أصبحنا في مؤخرة الأمم ، كما ترون ، حذفنا منه بعض الفرائض التي تقوينا ، وتجعل لنا هيبه في العالم ، ولما أضفنا عليه ما ليس منه تقائلنا ، حولنا حروب أهلية ، بين المتقاتلين قواسم مشتركة تسعون بالمئة ، وهم يتقاتلون ، إذاً : إذا أضفنا على الدين ما ليس كان بأسنا بيننا ضعفنا وإذا حذفنا من الدين ما علم منه



بالضرورة أصبحنا في مؤخرة الأمم .

٤ - صاحب البدعة محبوبٌ عن التوبة :

أيها الإخوة المؤمنون ، عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
((إِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ التَّوْبَةَ عَنْ صَاحِبِ كُلِّ بَدْعَةٍ))

[الطبراني بإسناد حسن]

٥ - العاصي يتوب وصاحب البدعة لا يتوب :



المبتدع لا يتوب لأنه يظن أن منطقه الخاطي هو الحق

لماذا لا يتوب المبتدع ، ويتوب العاصي ؟ المعصية واضحة ليس عليها خلاف ، أما المبتدع فيتهم أنه وحده على حق ، لذلك لا يتوب ، لذلك أهون ألف مرة من أن تقع - لا سمح الله - في معصية من أن تعتقد اعتقاداً مبتدعاً لا أصل له في الدين . إذاً : النبي صلى الله عليه وسلم يبين أن الله حجب التوبة عن صاحب كل بدعة . ،

شيء آخر ، يقول عليه الصلاة والسلام في بعض خطبه :

((... إِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بَدْعَةٌ ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ ...))

[مسلم والنسائي ، واللفظ له عن جابر]

٦ - الابتداع المحرم ما كان في الدين ، والأصل في الأشياء الدنيوية الإباحة :

لكن دققوا : البدعة في الدين ، هذا الكلام ، وهذا الوعيد متجه إلى البدعة في الدين ، قلت لكم : الأصل في العقائد والعبادات الحظر ، ولا تشرع عبادة إلا بالدليل القطعي الثبوت والقطعي الدلالة ، أما الأشياء الأصل فيها الإباحة ، ولا يحرم شيء إلا



لا تشرع أية عبادة ما لم يكن هناك دليل قطعي يثبتها

الابتداع

بالدليل القطعي الثبوت والقطعي الدلالة .

نحن عندنا أشياء ، وعندنا عبادات ، العبادات الأصل هو الحظر والأشياء الأصل فيها الإباحة ، بالحظر نحتاج إلى دليل لإحداث عبادة جديدة دليل قطعي الثبوت وقطعي الدلالة وبتحريم شيء من أشياء نحتاج إلى دليل قطعي الثبوت وقطعي الدلالة .

أيها الإخوة الكرام ،

((... إِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ ...))

[مسلم والنسائي ، واللفظ له عن جابر]

هذا حديث صحيح .



المقصود بالبدعة في الدين ، أما أحدثنا تكبير صوت فهذه بدعة في الدنيا ، ولا شيء عليها ، أحدثنا تدفئة مركزية ، أحدثنا ماء بارداً في الصيف ، وماء ساخناً في الشتاء للوضوء ، كل تحسينات الحياة هذه بدع ، لكن لا علاقة لها بالتشريع ، بالعكس نحن مطالبون أن نحسن من شروط حياتنا ، مطالبون أن نحل مشكلات شبابنا ، أي

إحداث لشيء جديد لحل مشكلة المسلمين فهذا شيء مقبول وجيد ، أما إذا قلنا : بدعة فالمقصود بها البدعة في الدين .

أيها الإخوة الكرام ، عَنِ الْعَرَبِيَّاتِ بْنِ سَارِيَةَ قَالَ :

((صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا فَوَعظَنَا مَوْعِظَةً بليغة ذرقت منها العيون ، ووجلت منها القلوب ، فَقَالَ قَائِلٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، كَأَنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةٌ مُودَعٌ ، فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا ؟ فَقَالَ : أَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ ، وَإِنَّ عَبْدًا حَبَشِيًّا ، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسِيرِي اخْتِلافًا كَثِيرًا ، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ ، تَمَسَّكُوا بِهَا ، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ))

[الترمذي ، أبو داود]

وفي رواية لحديث آخر :

((... وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ ...))

[مسلم والنسائي ، واللفظ له عن جابر]

أيها الإخوة الكرام ، لازلنا نؤكد أن هذا الدين يجب أن يستمر كما بدأ ، أما لو أنه كنهه له ينبوع صافٍ ، والماء في ينبوع عذب زلال ، وسار هذا النهر ، وجاءته روافد من مياه آسنة تراه في المصب أسود اللون ، لذلك الآن نحن بحاجة إلى أن نرجع إلى ينابيع ، ينابيع الكتاب و السنة .



عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
((إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدِي))

[الترمذي]

براءة الرسول عليه الصلاة والسلام من المبتدعة وذمهم لهم في الدنيا والآخرة :

الحديث الأول :



أيها الإخوة الكرام ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : فَأَقُولُ :
((أَصْحَابِي ، أَصْحَابِي ، فَقِيلَ : إِنَّكَ نَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ ، قَالَ : فَأَقُولُ :
بُعْدًا ، بُعْدًا ، أَوْ قَالَ : سَحَقًا ، سَحَقًا
لِمَنْ بَدَّلَ بَعْدِي))

[أحمد]

رقص في المساجد وحضرات ، وموالد واختلاط ، ونشاطات وتوسلات ، وسلوك شركي ، إهداء
 السحر والشعوذة ، كلها ضمن إطار إسلامي ، لفته خضراء ، يقول لك : يفك السحر ، وقد يكون
 منحرفاً فاسقاً ، كل شيء خلاف ما فعله النبي فهو مرفوض ، فلذلك :
 ((أَصْحَابِي ، أَصْحَابِي ، فَقِيلَ : إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحَدْتُمَا بَعْدَكَ ، قَالَ : فَأَقُولُ : بَعْدًا ، بَعْدًا ، أَوْ
 قَالَ : سَحَقًا ، سَحَقًا لِمَنْ بَدَّلَ بَعْدِي))

الحديث الثاني :

عَنْ أَبِي أُمَيَّةَ الشَّعْبَانِيِّ قَالَ : أَتَيْتُ أَبَا ثَعْلَبَةَ الْخُسَيْبِيَّ فَقُلْتُ لَهُ : كَيْفَ تَصْنَعُ بِهَذِهِ الْآيَةِ ؟ قَالَ : آيَةُ
 آيَةٍ ؟ قُلْتُ : قَوْلُهُ تَعَالَى :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ)

قَالَ : أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ سَأَلْتُ عَنْهَا خَبِيرًا ، سَأَلْتُ عَنْهَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ :

((بَلْ أَنْتُمْ رَوَاهُ بِالْمَعْرُوفِ ، وَتَنَاهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ، حَتَّى إِذَا رَأَيْتَ شَحًّا مُطَاعًا — الْمَادِيَّةَ ، الْإِتْجَاهَ
 الْمَادِي ، يَبِيعُ الْإِنْسَانَ دِينَهُ بَعْرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا قَلِيلٍ — وَهَوَى مُتَّبَعًا ، وَدُنْيَا مُؤَثَّرَةً ، وَإِعْجَابَ كُلِّ
 ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ ، فَعَلَيْكَ بِخَاصَّةِ نَفْسِكَ ، وَدَعِ الْعَوَامَّ ، فَإِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيَّامًا الصَّبْرُ فِيهِنَّ مِثْلُ
 الْقَبْضِ عَلَى الْجَمْرِ ، لِلْعَامِلِ فِيهِنَّ مِثْلُ أَجْرِ خَمْسِينَ رَجُلًا يَعْمَلُونَ مِثْلَ عَمَلِكُمْ ، قِيلَ : يَا رَسُولَ
 اللَّهِ ، أَجْرُ خَمْسِينَ مِنَّا أَوْ مِنْهُمْ ؟ قَالَ : بَلْ أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْكُمْ))

[أخرجه الإمام الترمذي و أبو داود]



المشكلة أن أي اختصاص له مرجعية ،
 لا نستطيع أن نشق طريقاً إلا بمهندس
 تربة يفحص التربة ، لا نستطيع أن
 نقوم ببناء إلا بمهندس معماري ،
 مهندس مدني ، أي نشاط من نشاطاتنا
 عندنا مرجعيات ، إلا في الدين فكل
 إنسان هو الوحيد العالم فيه !!! يقول
 لك : هذه غير صحيحة ، هذه صعب

تطبيقها ، تغيير الوضع ، من أنت ؟

يقولون هذا عندنا غير صالح فمن أنتم حتى يكون لكم عند

أنت من ؟

أيها الإخوة الكرام ،

((بَلْ ائْتَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ ، وَتَنَاهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ، حَتَّى إِذَا رَأَيْتَ شُحًا مُطَاعًا ، وَهَوَى مُتَّبَعًا ، وَدُنْيَا مُؤْتَرَةً ، وَإِعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ ، فَعَلَيْكَ بِخَاصَّةِ نَفْسِكَ ، وَدَعِ الْعَوَامَّ ، فَإِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيَّامًا الصَّبْرُ فِيهِنَّ مِثْلُ الْقَبْضِ عَلَى الْجَمْرِ ، لِلْعَامِلِ فِيهِنَّ مِثْلُ أَجْرِ خَمْسِينَ رَجُلًا يَعْمَلُونَ مِثْلَ عَمَلِكُمْ ، قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَجْرُ خَمْسِينَ مِنَّا أَوْ مِنْهُمْ ؟ قَالَ : بَلْ أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْكُمْ))

[أخرجه الإمام الترمذي و أبو داود]

نسأل الله أن ننجو ، نحن في أيام الصبر ، نحن في أيام أصبح المعروف منكرًا والمنكر معروفًا ، نحن في أيام يؤمر بالمنكر وينهى عن المعروف ، نحن في أيام لا نأمر بالمعروف ولا ننهى عن المنكر .

الحديث الثالث :



شيء آخر أيها الإخوة الكرام ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ : ((جَاءَ ثَلَاثَةٌ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَانَهُمْ تَقَالُوهَا ، فَقَالُوا : وَإَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ قَدْ غَفَرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ ، قَالَ أَحَدُهُمْ : أَمَا أَنَا فَإِنِّي

أَصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا ، وَقَالَ آخَرُ : أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أَفْطِرُ ، وَقَالَ آخَرُ : أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ ، فَلَمَّا اتَّزَوْجَ أَبَدًا ، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ فَقَالَ : أَنْتُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا؟! أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ ، وَأَتْقَاكُمْ لَهُ ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأَفْطِرُ ، وَأَصَلِّي وَأَرْقُدُ ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ ، فَمَنْ رَغِبَ عَن سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي))

[البخاري]

هناك منهج ، هذا المنهج وسطي ، منهج يلي حاجات الجسد وحاجات الروح ، يلي حاجات الدنيا والآخرة ، يلي المثل العليا والوقائع الصارخة ، منهج الإسلام وسطي ، وهو دين الفطرة .

الحديث الرابع :

أيها الإخوة الكرام ، شيء آخر ، عَنْ أَبِي إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيِّ أَنَّهُ سَمِعَ حذِيقَةَ بْنَ الْيَمَانَ يَقُولُ : ((كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْخَيْرِ ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ ، فَجَاءَنَا اللَّهُ بِهَذَا الْخَيْرِ ،

فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: نَعَمْ، قُلْتُ: وَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، وَفِيهِ دَخَنٌ، قُلْتُ: وَمَا دَخَنُهُ؟ قَالَ: قَوْمٌ يَهْدُونَ بِغَيْرِ هُدًى، تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتَتَكْرَرُ، قُلْتُ: فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: نَعَمْ، دُعَاةٌ إِلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، صَفِّهِمْ لَنَا، فَقَالَ: هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا، وَبِتَكَلُّمُونِ بِالسِّنِّتِنَا، قُلْتُ: فَمَا تَأْمُرُنِي إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ؟ قَالَ: تَلْزِمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ، قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلَا إِمَامٌ، قَالَ: فَاعْتَرِلْ تِلْكَ الْفِرْقَ كُلَّهَا، وَلَوْ أَنْ تَعْضَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ)) [البخاري]

الإنسان وحده يفتي لنفسه ، يجد مبررات لتقصيره ، يجد مبررات لمعصيته .

الحديث الخامس :

((وَالْجَمَاعَةُ رَحْمَةٌ وَالْفِرْقَةُ عَذَابٌ))

[أحمد والترمذي عن عمر]

الحديث السادس :

((وَإِيَّاكُمْ وَالْفِرْقَةَ ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْوَاحِدِ ، وَهُوَ مِنَ الْاِثْنَيْنِ أَبَعْدُ))

[الترمذي عن ابن عمر]

الحديث السابع :

عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : ((إِنَّ الشَّيْطَانَ ذَنْبُ الْإِنْسَانِ كَذَنْبِ الْغَنَمِ ، يَأْخُذُ الشَّاةَ الْقَاصِيَةَ وَالنَّاحِيَةَ ، فَإِيَّاكُمْ وَالشَّعَابَ ، وَعَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ وَالْعَامَّةِ وَالْمَسْجِدِ))

[أحمد]

((فَمَا تَأْمُرُنِي إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ؟ قَالَ: تَلْزِمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ))

الحديث الثامن :

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ))

[متفق عليه]

الحديث التاسع :

وفي رواية أخرى عن عائشة رضي
الله عنها قالت : قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم :
((مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ
رَدٌّ))

[مسلم]

هذا الدين توقيفي من عند الله ، لا يقبل
التعديل ولا التطوير ، ولا الحذف ولا
الإضافة ، ولا التغيير ولا تغيير المسار



الدين توقيفي من عند الله ولا يقبل أي تعديل

، ولا التجديد ولا التعطيل ، هذا دين توقيفي من عند الله ، والله عز وجل خبير عليم ، يعلم
خصائص النفس البشرية ، تقول : الدين الآن لا يطبق ، هذا كلام مرفوض ، هناك ظروف جديدة
الله يعلمها ، لأن الله علم ما كان ، وعلم ما يكون ، ويعلم ما سيكون ، ويعلم ما لم يكن لو كان
كيف كان يكون .

أيها الإخوة الكرام ، هذه كلها أدلة قوية صارخة من الكتاب والسنة أن الدين توقيفي ، وأن الدين
تام وكامل ، من حيث العدد تام ، ومن حيث النوعية كامل ، وأن أية إضافة عليه تعني اتهامه
بالنقص ، وأن أي حذف منه يعني اتهامه بالزيادة .

أقوال العلماء في ذم البدع :

الآن نحن أمام أقوال باقية من علماء المسلمين .

القول الأول :

ميمون بن مهران رحمه الله تعالى يقول :
" لا تدخل على السلطان وإن كنت أمره بطاعة " .

القول الثاني :

قال جعفر المنصور لأبي حنيفة : "

يا أبا حنيفة ، لو تغشيتنا ، قال : ولم أتغشاكم ، وليس لي عندكم شيء أخافكم عليه ، وهل يتغشاكم إلا من خافكم على شيء ؟ قال له : إنك إن أكرمتني فتننتي ، وإن أزريت بي فتننتي أيضاً " .

القول الثالث :



" ولا تصغين بسمعك إلى هوى فإنك لا تدري ما يعلق بقلبك منه " .
تقول : أنا محصن ، أنا لا أتأثر ، أجلس معهم ، لكن أنا متمسك بديني ، لا تقدر على ذلك ، أحياناً المجلس يكون فيه معصية ، والمعصية مغرية ، والمعصية محبة للإنسان ، ففوة إرادتك تكون في أن تبتعد عن أسباب المعصية ، في أن تدع بينك وبين

المعصية هامش أمان ، تماماً كنهر عميق جداً مخيف ، له شاطئ زلق مائل ، وله شاطئ جاف مستو ، امش على الشاطئ الجاف المستوي ، وأنت في أمان ، أما إذا اقتربت من الشاطئ الزلق المائل كان هناك احتمال السقوط في النهر ، إذاً : " ولا تصغين بسمعك إلى هوى فإنك لا تدري ما يعلق بقلبك منه " .

هناك كثير أدلة ، وحالات كثيرة جداً لإنسان صحب الأراذل فأصبح منهم ، صحب من يرتكب المعاصي فأعجبته المعاصي ، وترك دينه كله .

القول الرابع :

" ولا تدخل على امرأة ولو قلت : أعلمها كتاب الله " .

لأن بين المرأة والرجل وضعا خاصا ، فقد تنظر إلى وردة ، وقد تنظر إلى حقل أخضر ، إلى بحر أزرق ، إلى سماء صافية ، إلى غابة جميلة ، إلى نهر رقيق ، كله جميل ، لكن هذا الجمال لا علاقة له بكيمياء دمك ،



لكنك إذا نظرت إلى امرأة ، وملأت عينيك من محاسنها يحدث في دمك تغير كيميائي ، تثار ، وهذه الإثارة تستدعي أعمال ، فلذلك يستطيع الإنسان أن يكون عفيفاً إذا ابتعد عن أسباب المعصية ، من هنا يقول الله عز وجل :

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزَّانَا ﴾

(سورة الإسراء : ٣٢)

إنه شهوة لها قوة جذب ، فيها وهج ، فإذا اقتربت من أسبابها جذبك إليها ، لذلك إطلاق البصر من أسباب الزنا ، قال تعالى :

﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ﴾

(سورة النور : ٣٠)

استنبط العلماء أن حفظ الفرج سببه غض البصر . وكذلك صحبة الأراذل ، فكل حديثهم عن مغامراتهم الجنسية ، مطالعة كتاب ماجن ، متابعة عمل فني إباحي ، هذه كلها تقود إلى الزنا ، ولو درسنا القضية دراسة علمية لوجدنا أن كل الجرائم الجنسية التي تمت ، ولا سيما الاغتصاب أساسها إيمان على المشاهد الجنسية .

القول الخامس :

يقول الإمام الحسن البصر رحمه الله تعالى :

" إنما هلك من كان قبلكم حين تشعبت بهم السبل ، وحادوا عن الطريق ، فتركوا الآثار ، وقالوا في الدين برأيهم ، فضلوا ، وأضلوا " .

ليس في الدين رأي شخصي ، الدين شيء مصيري متعلق بحياتك الأبدية ، متعلق بسعادتك الأبدية ، الدين علاقتك معه متعلقة بجنة يدوم نعيمها ، أو نار لا ينفذ عذابها ، ولا مجاملة في الدين إطلاقاً ، " إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم " .

((عمر ، دينك ، دينك ، إنه لحمك ودمك ، خذنا عن الذين استقاموا ، ولا تأخذ عن الذين

مالوا))

[العلل لابن أبي حاتم]

القول السادس :



سئل الحسن البصري عن الصلاة خلف صاحب البدعة فقال :

الابتداع

صل وراء كل إمام ولا يعنك علاقته بربه فك صلواتك وله صلواته

" صل خلفه وعليه بدعته " .

حتى لا ندخل في متهات ، يا أخي ، أنت مبتدع ، دخلك حرام ، حلال ، ما وضعك ؟ قل لي قبل أن أصلي وراءك ، هذا ليس معقول ، شيء غير مألوف إطلاقاً ، هناك شيء يؤكد وحدة المسلمين ، صل وراء كل إمام ، ولا تعنيك علاقته بربه ، يعنيك أنك صليت وراءك ، ولك صلاتك ، وله صلاته .

القول السابع :

يقول الحسن البصري أيضاً :

" لم يزل الله نصحاء في الأرض من عباده ، يعرضون أعمال العباد على كتاب الله ، فإذا وافقوه حمدوا الله ، وإذا خالفوه عرفوا بكتاب الله " .
عرفوا هؤلاء الذين اتبعوا أشياء لم تكن مرضية عند الله عز وجل .

القول الثامن :

وقال بعض العلماء :

" ما ابتدع قوم بدعة في دينهم إلا نزع الله من سنتهم مثلها " .
أنت في بدعة ، وهناك سنة مقابل لها متروكة ، أية بدعة يقابلها سنة متروكة .

القول التاسع :

قال بعضهم :

" البدعة أحب إلى إبليس من المعصية " .

المعصية يتاب منها ، والبدعة لا يتاب منها ، من الناس من يدري ، ويدري أنه يدري فهذا عالم فاتبعوه ، من الناس لا يدري ويدري أنه لا يدري فهذا جاهل فعلموه ، لكن الخطر من الناس من لا يدري ولا يدري أنه لا يدري فهذا شيطان فاحذروه .

القول العاشر :

يقول الإمام مالك رحمه الله تعالى :

" من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمداً خان الرسالة " .

قلت هذا المعنى قبل قليل ، حينما تبذع بدعة تؤكد للناس أن في الإسلام نقصاً أو زيادة ، فجئت أنت فرممت النقص ، أو حذفتم الزيادة ، ولا تتسوا مرة ثانية أن هذا الإسلام دين توقيفي من عند الخالق الذي كل أفعاله كمال مطلق .

القول الحادي عشر :

قال الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى
: " من جلس على صاحب بدعة
فاحذروه " .



والأمثلة كثيرة جداً ، هناك فرقة ضالة
تدعي أنه جاء نبي في آخر الزمان ،
ظهر في الهند ، وكانوا أقوياء جداً ،
الأفكار كلها لا أصل لها في الدين ،
لذلك قلت قبل حين : إن الباطل من

الصعب أن نستوعبه ، أعمارنا جميعاً لا تكفي لاستيعابه ، لكن يمكن أن نستوعب الحق ، هناك
فرق كبير جداً ، لأن الباطل متعدد ،

﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السَّبِيلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ﴾

(سورة الأنعام : ١٥٣)

الحق واحد ، والباطل متعدد ، يمكن أن يمرّ من نقطتين خطّ مستقيم واحد ، لكن من نقطتين يمر
مليون خط منحنى ، ومليون خط منكسر ، أعمارنا جميعاً لا تكفي لاستيعاب الباطل ، لكن العمر
الذي أكرمنا الله به يكفي لاستيعاب الحق ، يستوعب الحق ، وليكن الحق مقياساً لكل حركاتك
وسكناتك .

القول الثاني عشر :

قال بعض العلماء :

" من زوج ابنته من مبتدع فقد قطع رحمها " .

القول الثالث عشر :

وقال بعض العلماء أيضاً :

" إذا علم الله من رجل أنه مبغض لصاحب بدعة رجوت أن يغفر الله له " .

صاحب البدعة الذي يأتي في العقيدة ، أو في العبادة ، بشيء لم يفعله رسول الله ، هل يمكن أن تكون الدعوة إلى الله أساسها أن تدخل سيخا في جسمك فيخرج من مكانٍ ثانٍ ؟ هل هذه طريق الدعوة إلى الله ؟ هل فعل هذا النبي صلى الله عليه وسلم ؟

القول الرابع عشر :



" اتبع طريق الهدى ، ولا يضرك قلة السالكين ، اتبع طريق الهدى ، ولا يضرك قلة السالكين ، وإياك وطرق الضلالة ، ولا تغتر بكثرة الهالكين " .
الآن الأكثرية في بُعد عن الله ، قال تعالى:

﴿ وَإِنْ تَطَعْ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ

يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾

(سورة الأنعام : ١١٦)

كن مع الأقلية المؤمنة المستقيمة ، ولا تكن مع الأكثرية الشاردة .

القول الخامس عشر :

" مَنْ جَلَسَ إِلَى صَاحِبِ بَدْعَةٍ لَمْ يَعْطَ الْحِكْمَةَ ، وَمِنْ عِلَامَاتِ الْبَلَاءِ أَنْ يَكُونَ الرَّجُلُ صَاحِبَ بَدْعَةٍ " .

أيها الإخوة الكرام ، مَنْ أَمَرَ السَّنَةَ عَلَى نَفْسِهِ قَوْلًا وَفِعْلًا نَطَقَ بِالْحِكْمَةِ ، وَمَنْ أَمَرَ الْهَوَى عَلَى نَفْسِهِ قَوْلًا وَفِعْلًا نَطَقَ بِالْبَدْعَةِ .

قال الله تعالى :

﴿ وَإِنْ تَطِيعُوهُ تَهْتَدُوا ﴾

(سورة النور : ٥٤)

يقول الإمام ذو النون المصري رحمه الله تعالى :

" إنما دخل الفساد على الخلق من ستة أشياء : الأول : ضعف النية بعمل الآخرة .

والثاني : صارت أبدانهم مهيأة لشهواتهم .

والثالث : غلبهم طول الأمل مع قصر الأجل .

والرابع : آثروا رضاء المخلوقين على رضاء الله .

والخامس : اتبعوا أهواءهم ، ونبذوا سنة نبيهم صلى الله عليه وسلم .

والسادس : جعلوا زلات السلف حجة لأنفسهم ، ودفنوا أكثر مناقبهم " .

القول السادس عشر :

أيها الإخوة الكرام ، قال الإمام النووي في شرح حديث رسول الله صلى الله عليه :

((مَنْ أَحَدَّثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ))

" هذا الحديث مما ينبغي أن يعتنى بحفظه ، واستعماله في إبطال المنكرات ، وإشاعة الاستدلال على ذلك " .

القول السابع عشر :

ثم هناك بعض أقوال العلماء ، وأرقى قول بهذا المعنى قول بعضهم : " العبادات مبناهما على الشرع والاتباع". الآن يقام زواج صوري حتى تذهب إلى الحج مع محرم ، ينعقد عقد شكلي صوري حتى يكون معها محرم تحج معه ، ثم يخطر في باله أن يتزوجها في الحج ، ثم يعلم أنها غنية فلا يطلقها، هذا لعب بدين الله ، لذلك :



العبادات مبناهما على الشرع والاتباع لا على الهوى والابتداع " .

الإسلام مبني على أصليين : أحدهما : أن نعبد الله وحده لا شريك له ، والثاني : أن نعبد بما شرعه على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ، لا نعبده بالأهواء والبدع ، يجب أن نعبد الله كما شرع الله عز وجل .

الإنسان أحيانا يحج ، فيبدأ برشوة ، هذه بدعة ، يحج فيبدأ بتصريح كاذب ، هذه بدعة ، يحج بزواج صوري ، حتى تذهب إلى الحج تقيم عقد زواج ، هذه بدعة طبعاً ، أو يستدين ويحج ، هذه بدعة أيضاً ، أو يحج تهريباً ، أيضاً بدعة ، هذا الحج عبادة راقية ، ما كلفك الله أن تبدأ بمعصية.

القول الثامن عشر :

قال بعض العلماء :

" القلوب إذا اشتغلت بالبدع أعرضت عن السنن " .

نتائج ومساوئ البدعة :



– إبطاء الأعمال ، وإن كانت كثيرة ، فالمبتدع عمله محبط .

– ومن لوازم دعوى عدم كمال الدين لما تضيف أو تحذف ، معنى ذلك أن الدين غير كامل ، وغير تام .

– صاحبه من أعوان الشيطان ، ومن أعداء الرحمن .

– أبغض إلى الله عز وجل الابتداع من كثير من المعاصي .

– وصاحب البدعة لا يرجى له توبة بخلاف أهل المعاصي .

– وكل البدع ضلالة ، ليس فيها شيء حسن .

– أنواعها في العقيدة والعبادة وشرها بدع العقيدة ، وهناك بدع تركية وبدع فعلية ، فأحياناً تفعل شيئاً يعد بدعة ، وأحياناً تترك سنة فتركها بدعة .

– والبدعة إثمها متجدد لا ينقطع مادام يعمل بها في الأرض .

– ومن أقرب مداخل الشيطان للإنسان البدع .

– وتؤدي إلى خلط الحق بالباطل ، وعندئذ يختار الأغرار في التمييز بينهما .

– وتؤدي إلى نفور من ليس له قدم لفهم الإسلام لكثرة ما يظن من التكاليف .

أحياناً هناك تكاليف فوق طاقة الإنسان ، وثمة إنسان ينفر من هذه التكاليف ، لأنه رآها فوق طاقته ، وهي كلها بدع .

لذلك أيها الإخوة الكرام ، من الأخلاق المذمومة الابتداع في الدين ، والابتداع في الدين مؤداه إلى ضياع معالم الدين . والابتداع في الدين مؤداه إلى سوء الظن في الدين . والابتداع في الدين مؤداه إلى ابتعاد الناس عن هذا المنهج القويم ، لذلك :



((فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمُهَدِّبِينَ ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ))

[أبو داود عن العرياض بن سارية]

والاتباعُ هو أصلُ في الدين ، قال تعالى :

﴿ إِنِ اتَّبَعُوا لِمَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ ﴾

(سورة الأنعام : ٥٠)

الخاتمة :

سيد الخلق ، وحبيب الحق يتبع ما يوحى إليه ، فما بالناس نحن أن نخفف هذا الاتباع .
أرجو الله سبحانه وتعالى أن ينقلب هذا الدرس إلى حقائق نعيشها ، وإلى سلوك نسلكه ، لا أن يبقى كلاماً في كلام .

والحمد لله رب العالمين